ساحة خضراء

زغرودة للحبايب

● الفرح يعني زغرودة طويلة تخرج من القلب تختلط بدموع حرى .. لغة مشتركة بين شعوب العالم الثالث .. تذهب إلى المغرب العربي .. تشنف أذنيك زغرودة تقطر عسلاً وضحكاً .. في مصر والسودان وجيبوتي واليمن ترتفع في الجو الزغاريد في أماكن كثيرة.

تسأل عن مصدر الزغردة يجيبونك، في مكان فلان، المناسبة، يقولون لك عرس.

تختلط الزغاريد بالتصفيق والرقص، يستقبلونك كضيف في بعض البلدان بالزغاريد.

تحقيق النجاح في عمل ما أو في المدرسة، أو عند التخرج من الجامعة، أو عند التخلص من مشكلة، أو عند الخروج من السجن، أو الوصول من الحج، أو عند عقد النكاح، أو الوصول من سفر بعد غياب طويل تعلن الزغاريد لحظات الفرح.

كذلك أيام الحصاد تصبح للزغاريد معانٍ كثيرة فهو يعني العطاء..

زغرودة للحبايب بأفراحهم.

فؤاد عبدالقادر

خاطرة

فكرة محمود

أجلس الآن ونسيمات الفجر تداعب ذاكرتي
أجلس القرفصاء في ساحة الدار..
أرتشف القهوة وأقرأ الجريدة...
تسافر عينايَ بين السطور تقرأ العناوين
والاسناء وعبارات العزاء والمواساة
وأقرأ اسمك من ضمنها وأراه غريباً
كأني أقرأه لأول مرة..
لأول مرة لا أعرفك
ولا أقدر على فك حروف اسمك
منذ زمن كنت أحتسي القهوة معك...
وأنت تقرأ لي الجريدة وطالع البروج...
واليوم غدوت بعيداً عني غريب..
أكملت سفري مع السطور وأقفلت صفحات الجريدة
لأرتدي ملابسي نشيطة فرحة..
لا خرج إلى الدنيا أغني مع البلبل الصغير
وأراقص خيوط الشمس الذهبية.
كحبيبة عدت من جديد لسن المراهقة..
وعاد قلبي الصغير نقياً بريئاً....
يغني للفرح ولكل الناس!!
وعيون الغد!!!

فند جميع الفرضيات والاجتهادات حول تسمية «الحميني»

الباحث عبدالجبار نعمان باجل:

حيس موطن الشعر الحميني وهاهي الإثباتات

◁ أصل تسمية الشعر الحميني ظلت من إحدى الاشكاليات الهامة المطروحة على الساحة الأدبية يمنياً وعربياً وشغلت بال الكثير من الأدباء والباحثين والمهتمين .. وبرزت إزاء هذه القضية فرضيات ونظريات كثيرة غير أنها بقيت اجتهادات تفتقر الأدلة والحقائق العلمية والتاريخية.

◁الباحث/ عبدالجبار نعمان باجل، أكد في كتابه الذي صدر مؤخراً ضمن إصدارات صنعاء عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٤م «الشعر الحميني في اليمن .. الريادة والأصول»، أخضع كل تلك الافتراضات والاجتهادات إلى دراسة علمية واعتمد في دراسته على النزول الميداني والتقصي لحقائق التاريخ ليظهر بنظرية يؤكد صدقيتها حول أصل تسمية الشعر الحميني وهو ماسنتطرق إليها خلال استعراضنا لأهم ماورد في الكتاب المشار إليه والذي أتى في (٣٣٣ صفحة) من القطع المتوسط.

عرض/ حمدي دوبلة

أصل التسمية:

– يقول الباحث/ عبدالجبار نعمان باجل: بأن جميع الإفتراضات السابقة حول أصل تسمية الشعر الحميني لم تستند إلى إثباتات وحقائق تاريخية وجغرافية، فهي مثلاً، استندت على دراسة رواد الشعر الحميني ورموزه الأوائل، مع إهمال واضح لمكان نشأتهم..

ويضيف في كتابه «الشعر الحميني في اليمن .. الريادة والأصول»: أن الرواد الأوائل للشعر الحميني أمثال ابن فليته والمزاح ومن عاصرهما من الشعراء أو كان أسبق منهم أمثال الأديب الكبير/ أبوبكر الحكاك أو من جاءوا بعدهما أمثال: عبدالرحمن العلوي والفقيه/ مهير بكر السراج، وإبراهيم السراج، وغيرهم كثيرون .. وكلهم نشأوا في تهامة وخاصة الجزء اليماني منها وهؤلاء هم الذين عملوا مجتهدين .. إما في وضع لبنات القصيدة الحمينية وإما في إرساء الدعائم والصروح الشامخة لها ومن خلالها طارت شهرة الشعر الحميني فعمت كل أرجاء البلاد اليمنية حتى أنه صار يعرف عند العرب باسم شعر أهل اليمن كما ورد في كتاب تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي حيث يقول: «ومن التوشيح مالايكون معرباً»، وهو من اختراع أدباء اليمن .. قال صاحب «سلافة العصر»: «ولأهل اليمن نظم يسمونه الموشح وهو غير موشح أهل المغرب والفرق بينهما أن موشح أهل المغرب يراعى فيه الإعراب بخلاف موشح أهل اليمن فإنه لايراعي فيه شيء من الإعراب بل اللحن فيه أعذب».

حل الإشكالية:

– ويؤكد الباحث باجل: بأن مفاتيح هذه الإشكالية تكمن في هؤلاء الرواد .. ولكن نصل إلى الهدف المنشود ينبغي أن نعرف هؤلاء الرواد ونستدل من خلالهم على الموطن الأول للشعر الحميني، وخاصة إذا ماستطعنا تحديد الجهات والمناطق التي نشأ بها أمثال «ابن فليته» و«المزاح».

ويشير إلى أنه بدأ في دراسة هذين العلمين مراعاة للترتيب الذي وضعه الدكتور/ عبدالعزيز المقالح في كتابه شعر العامية في اليمن حيث وضع «ابن فليته» في رأس قائمة الرواد، ثم أتبعه بـ«المزاح» معتمداً في ذلك على التسلسل الزمني..

ويوضح بأن إهمال الجوانب الجغرافية في دراسة هذين الشاعرين وغيرهما من رواد «الحميني» أفضت إلى العديد من الاحتمالات والاجتهادات التي تفتقر إلى الكثير فيما يتعلق بأصول تسمية الشعر الحميني..

ويؤكد الباحث/ عبدالجبار نعمان: بأنه ولكي تتضح الرؤية يجب معرفة مكان نشأة هذين الرائدين أولاً؛ لأن ذلك يقود إلى التجوال طولاً وعرضاً في إطار الساحة الجغرافية الممتدة بين مكان «المزاح» ومكان «ابن فليته».

ويشير إلى ماأورده صاحب طبقات صلحاء اليمن «ومن أهل الأوشج الفقيه عبدالله بن أبي بكر المزاح» الشاعر المشهور قال فيه بعضهم: «إنه أشعر شعراء اليمن وأشهر فصحاء الزمن»، وهو مايثبت أن المزاح كان من أهل الأوشج «موشج حالياً» وهي منطقة تقع حالياً في الجنوب الغربي من مدينة حيس وتتبعها جغرافياً مضافة إلى عزلة الخوخة التي أصبحت الآن وحدة إدارية مستقلة .. وهو الأمر الذي يوفر الأرضية التي نشأ فيها أحد الرواد وهو «المزاح» الذي قال عنه الدكتور المقالح «وليس غريباً أن يكون أول رائد لهذا اللون من الشعر وأول اسم مدون في قائمة شعراء العامية في اليمن هو أبرز كتاب الإنشاء في ديوان الدولة الرسولية الناشئة أحمد بن فليتة في مطلع القرن الثاني الهجري» وابن فليته كما يذكر الحبشي في مصادر الفكر العربي والإسلامي في اليمن «أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن فليته» من أكابر أدباء العصر الرسولي تولى الكتابة في دست الإنشاء وبرع في أكثر من اتجاه أدبي وبه يؤرخ الشعر الحميني عند بعض الباحثين، وتوفي بمدينة زبيد سنة ٧٣١هجرية وقيل ٧٣٣ هجرية.

ويقول الباحث باجل: بأن هذا يعد دليلاً على تحديد الرقعة الجغرافية التي عاش فيها هذاالشاعر وهي منحصرة بين بلد المزاح الموشج وبلد ابن فليته زبيد مما يؤكد أن أصل تسمية الشعر الحميني سيكون نابعاً من إحدى الجهات أو الأماكن الواقعة في نطاق هذه المساحة..

محط الرحال:

– ويقول الباحث/ عبدالجبار نعمان باجل الذي عكف على دراسته لسنوات طويلة: بأن كل مأسلف يؤكد بأن تهامة تظل محط الرحال، وبالتحديد ليس كل تهامة بل المنطقة الممتدة من زبيد إلى وشج.

وأضاف: «يوجد مدينة تتوسط المساحة الممتدة في الأوشج إلى زبيد وهي مدينة حيس المكتظة بمواقعها التاريخية وعلمائها وأدبائها عبر التاريخ .. ويستدل الباحث بما قاله البريهمي في طبقاته «ومن أهل الجوز القرية المعروفة من نواحي حيس الشيخ الصالح رضي الدين أبوبكر بن إبراهيم بن يوسف الحكاك وكان ممن صحب الشيخ الكبير/ الشريف زين العابدين يوسف القليصي الساكن بمحل العقبانية قرية من أعالي وادي زبيد وزوجه بابنته فتخلق بأخلاقه وأشتغل بعلم الحقائق وفتح عليه بها فتحاً عظيماً وكان كاتباً وشاعراً لطيفاً ذا خط فائق ونظم رائق وله ديوان شعر كأنه زهر أرق من نسيم الشمال على أديم الزلال يضحك الحزين ويحرك الرصين وكانت وفاته في آخر المائة السابعة».

ويقول الباحث/ عبدالجبار باجل، وكما هو مبين فإن ابن فليته عاش بزبيد وتوفي بها وكذلك بلاد المزاح الأوشج وهما دليلان قويان يضاف إليهما قرينة بينة وقوية الحجة وهي قرية الجوز الواقعة في الإطار الجغرافي لمدينة حيس التاريخية.

حيس الوطن الأصلي:

– ويقول الباحث/ باجل: بأن حيسٌ مدينة تقع في منتصف الطريق بين الحديدة وتعز، وتبعد عن كل منهما بـ١٤٠ كيلومتراً وهي ملتقى ثلاث محافظات: الحديدة – تعز – إب.

وتعتبر مركز تجمع للمدن والقرى المحيطة بها والقريبة منها وهي تقع بين أحضان الجبل شرقاً وشمالاً وجنوباً وعلى شفاه البحر غرباً وكانت حتى بعد قيام ثورة الـ٢٦ من سبتمبر تمتد غرباً إلى ساحل البحر الأحمر لتشمل بهذا الموقع على قرى ومواقع تاريخية هامة أسهمت إسهاماً كبيراً في تشكيل التاريخ اليمني وفي العصر الإسلامي الوسيط.

ومن أبرز هذه القرى «الغبرة، الخوخة، الأوشج، الشرجة، السلامة، الطوير، والحمينية».

وتقسم حيس قبلياً إلى أربعة أرباع وهي ربع السوق وربع المحل وربع الربع الأعلى وربع الدوبلة وكل ربع يضم عدة عزل منها عزلة نخلة وعزلة ظمي وعزلة دباس وعزلة الخوخة وعزلة زهير وعزلة البغيل وتضم كل عزلة عدداً من الجهات والمحاريث، وما يهمنا هنا أحد هذه المحاريث وهو محراث الحمينية التابعة لعزلة زهير ومثلها الأوشج التابعة لعزلة الخوخة التي أصبحت الآن وحدة إدارية مستقلة عن مديلة حيس..

ويقول بأن: الحمينية هي محراث وجهة تتكون من عدة محلات وتمتد مساحتها من القرية المسمى حالياً الكنب الواقعة في منتصف الخط الرئيسي بين الحديدة وتعز ثم باتجاه الغرب إلى جهة «الأكبر» عزلة زهير ومن قراها الجوز مسقط رأس «أبي بكر الحكاك» ويضيف: «إذن فقرية الجوز تقع في نطاق محراث وجهة الحمينية وهنا نلقي عصا الترحال، وتأتي نهاية التجوال ونحط الرحال مؤكدين وبثقة أن أصل تسمية الحميني راجع إلى جهة الحمينية التابعة تاريخياً وإدارياً لمدينة حيس» .. ويستطرد الباحث عبدالجبار باجل .. وإذا ماحاولنا مطابقة هذه التسمية مع هذه الجهة سنجد تقارباً وانسجاماً لاينفك بعضهما عن بعض مما يغرينا عن التحوير والاشتقاق والاستنطاق من الافتراضات والاحتمالات التي استنزفت طاقات هائلة من الدارسين والمهتمين بهذا المجال.

ويورد الباحث دليلاً إضافياً يتمثل في مطابقة لفظ حميني أمام كل افتراض من الافتراضات التي وضعت من قبل عدد من الباحثين والمهتمين حيث يذكر الدكتور عبدالعزيز المقالح أربعة افتراضات لأصل كلمة حميني وهي أولاً لفظ حميري وهو اسم آخر الدول اليمنية القديمة لعصر ماقبل الإسلام، وثانياً لفظ حمياً وهو من أسماء الخمر، والثالث لفظ حمن وهو اسم لمنطقة يمنية في الجزء الأوسط من اليمن، ورابعاً لفظ «حماقي» وهو لضرب من الزاجل وبعد مناقشات جادة يزكي الدكتور المقالح الافتراض الأول كما يزكي كذلك الافتراض الثالث .. ويقول الباحث باجل نستطيع أن نؤكد في أن أصل التسمية «الحميني» ستنطبق لفظياً بكل مايشتمل عليه اللفظ دون تعسف في الإنفاق في المقابلة التالية:

حميري = حميني
حميا = حميني
حمن = حميني
حماقي = حميني

إضافة إلى ماتوصلنا إليه «والحديث للباحث باجل» حمينية .. التي تكاد تطابق أصل التسمية الحميني.

تعريف الشعر الحميني:

– يعرف الباحث/ عبدالجبار نعمان باجل الشعر الحميني: بأنه شعر عربي متميز بتعدد أشكاله وتراكيبه الموصوفة بالمبيتات والموشحات ويعذب فيه اللحن لكنه ليس شرطاً فيه يتعامل بالفصيح وفق أشكاله لكنه لايلتزم بحور الخليل وليس ذلك أيضاً شرطاً فيه بل ان الشرط أن يتقيد الشعر الحميني بأشكاله وفق قواعده وأصوله.

وقد استعرضت دراسة الباحث باجل للشعر الحميني .. للأصول الفنية لنظام الشكل في الشعر الحميني تراتيم على بساط الشكل دلالات إيجابية والإطار العام للمبيت الحميني من حيث الشكل وكذا التعريف بالإطار العام لمبيت الثنائي والرباعي وأصول فن التوشيح الحميني من حيث الشكل كما سرد رواد وأعلام الحميني وتضمن الكتاب الثري بالمعلومات ملحقاً هاماً تضمن الخلفية التاريخية للجهة الحمينية والإطار الجغرافي للموقع ومكوناته وموقع قرية الحمينية والموقع القديم لها والوصف الحالي لموقع الجوز.

■ والباحث/ عبدالجبار نعمان باجل، من مواليد ١٩٦٢م بمديرية حيس، حاصل على الشهادة الجامعية من قسم التاريخ بجامعة صنعاء، وهو عضو اتحاد الأدباء والكتّاب اليمنيين وعضو اتحاد الأدباء والكتّاب العرب، وقد شغل العديد من المناصب الإدارية في محافظة الحديدة آخرها رئيساً للجنة التخطيط والتنمية المالية في المجلس المحلي بمديرية حيس بالإضافة إلى كونه مسؤولاً إدارياً لاتحاد الأدباء والكتّاب اليمنيين (فرع زبيد) وهو باحث وشاعر له العديد من الدراسات التي لم تنشر بعد كما يرأس منتدى حيس الثقافي الأدبي وهو متزوج وله ٦ أبناء ثلاثة ذكور ومثلهم إناث.

أين تكمن الأزمة في الثقافة أم المثقف

حمدي مراد

■.. لا أظن أن هناك ما يسمى بأزمة الثقافة– كما يطلقون عليها– لأن الثقافة في حالة تطور سواء في المجال الأدبي أو العلمي أو التكنولوجيا بما فيها الاتصالات وأزمة الثقافة التي يتكلم عنها الكتاب هي ناتجة عن الإحباط الذي يعيشونه في ظل عولمة التغير الطارئ على العصر.. وأيضاً التغيرات اليومية من أنباء مثيرة وكوارث غير متوقعة.

ويحلو للبعض أن يصف هذه المتغيرات بأزمة في الثقافة وباعتقادي بأن الأزمة تكمن في غياب المثقف أو المتلقي الذي لم تعد تستهوية الثقافة والتي أصبحت متعددة الأشكال والألوان فهناك عدة وجوه لها مثل ثقافة الموضة وثقافة تقليد الغرب وثقافة الغناء.. الخ.

وقد يفاجئك أحدهم بقوله: أي الثقافة تقصد ولم تعد المطالعة والقراءة هي أساس للثقافة بل أصبح عليك أن تستمع للغناء وتشاهد الأفلام الهابطة من أجل أن تواكب الثقافة الحضارية المزعومة.

هذه المفهومية الخاطئة أصبحت جارية على قدم وساق بين الشباب فنحن أمام كمية هائلة ومتعددة من التطورات وما علينا إلا أكتناء.

الشكل المناسب وحسب ميولنا الفكري، ولم تعد الثقافة هي ثقافة أدبية وعلمية وغيرها بل أصبح هناك منافس لثقافتنا المعهودة أو القديمة كما يطلق عليها بعض الشباب المتحضر وثمة سؤال يجب أن يطرح على المثقفين هل هذا العصر: عصر الثقافة أم عصر الموضة التي أصبح عليها اقبال كبير.

ونكتشف المشكلة في وضعنا الثقافي المتدهور حيث أصبحت المجالات تعرض الفتيات بشكل شبه عاري وتكثر من صفحات الموضة بألوان أنيقة مما يستهوي الشباب النظر إلى تلك الصور لاشباع نزواته لا التثقيف والتي هي الأخرى أقصد المجلة تخلو من أي مضمون ثقافي أساساً.

ولقد أدهشني ذلك الكم الهائل من الكتب الموجودة على أرصفة شارع التحرير حينما سألت نفسي: أين المثقف الذي يبحث وراء المطالعة بما يفيده في حياته اليومية والمستقبلية؟ ربما التقت يمنه ويسره فلم أجد إلا أناس قليلة تنظر إلى الأغلفة ثم تمضي في سلام رغم أن سعر الكتاب أرخص بكثير من التخزينة التي يشتريها ذلك الغائب عن الثقافة وأرخص من تلك القصات التي تراها على رؤوس شبابنا «الكابوريا» وهي تزين شعرهم بشكل يثير الضحك قبل التندم على حالهم.

هنا تكمن المشكلة أو الأزمة وهي أزمة غياب المثقف –كما قلنا– لا الثقافة، وهي حالة ركود حقيقية في جميع العواصم العربية وترهل يعاني منه المجتمع وجمود وتقوقع في أطار العولمة حيث أصبح البحث عن مثقف هو بمثابة البحث وراء السراب ،وتظل أزمة المثقف الذي ضاع في متاهات الأزياء بشكل فجوة شاسعة من الفراغ ومكاناً شاغراً، فلا تكون ثقافة بدون مثقف–والعكس– وتظل تلك الكتب تبحث عن قارئ فيما إذا وجد ذلك القارئ فإنه يقرأ العنوان ثم يمضي.

وإذا نظرنا إلى واقع التعليم الذي له الدور الأساسي في تنمية الثقافة فإنه يهتم بتدريس المنهج المقرر فقط، بدون أن يسلط الضوء على تثقيف الطالب بقدر كافي أو شد انتباه إلى الثقافة رغم أنني أقول أن هناك طلاباً ثقافتهم العالية تجعل المرء يتفاءل بمستقبل أكثر اشراقاً.

والشباب الذي استبدل ثقافته العربية الأصيلة بثقافة أجنبية خليعة واستبدل غاداته وتقاليده بلبس ضيق وقصات مضحكة هم في أمس الحاجة لتصحيح مفاهيمهم الخاطئة وتنوير عقولهم الفارغة التي تخلو من الثقافة، ولا تجد فيها الا محاكاة الموضة.

وقد يتبادر إلى الاذهان إذاً ما الحل؟ وكيف نعيد للثقافة مكانتها وفي وسط هذا الضياع؟

وهو سؤال في صميم المشكلة التي استعصت على كثير من المثقفين ونهج التغير الذي يجب أن يكون نابعاً منا ذاتياً وحفاظاً على هويتنا وثقافتنا وعاداتنا العربية واحتراماً لتقاليدنا وتراثنا التاريخي .لذلك يتطلب منا العودة الجادة إلى الثقافة العربية والتي هي منبع كل الثقافات وعلى وزارة التربية والتعليم أن تعيد النظر في المنهج من أجل خلق شباب مثقف ومتعلم كما على وسائل الإعلام بما فيها من مرئية ومسموعة ومكتوبة أن تغير من أسلوب التعامل مع الآخر وبث برامج دينية وثقافية وعلمية، ولا بد أن تتوفر السبل للمضي نحو الثقافة والعلم وفتح آفاق المستقبل لأننا قادمين على سنوات استثنائية تحتاج إلى أكثر تطور في الثقافة وتغير الواقع إلى الافضل ولأن المثقف أو الكاتب هو أداة للتغيروعليه أن يتحمل هذا القرار، كما عليه أيضاً أن يكون على درجة عالية من الصدق مع النفس والوضوح في الرؤية.